المجموع المفيد من فضائل التوحيد

إعداد

أبي الحسن الروقي العتيبي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

الطبعة الأولى

١٤٤٤ هـ / ٢٠٢٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

أما بعد

فإن الدعوة إلى التوحيد، ببيان حقيقته، وحُكْمِهِ، وفضائله، وبيان ما يُضادُّهُ، أو يُنقِصُ كماله؛ من أشرف القُرُبات، وأعظم الطاعات، ومن أنفس الكتب المصنفة في هذا الباب «كتاب التوحيد» الذي صنفه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإنه كما قال الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس له نظير في الوجود، قد وضَّحَ فيه التوحيد الذي أوجبه الله على عباده، وخلقهم لأجله، ولأجله أرسل رسله، وأنزل كتبه، وذَكَر ما ينافيه من الشرك الأكبر، أو ينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر والبدع، وما يُقَرِّبُ من ذلك أو يُوصِلُ إليه، فصار بديعا في معناه، لم يُسبَق إليه، عَلَمًا للموحدين، وحجة على الملحدين، واشتهر أي اشتهار، وعَكَفَ عليه الطلبة، وصار الغالب يحفظه عن ظهر قلب، وعَمَّ النفع به» اهـ[(١)].

وكان من جملة أبواب كتاب التوحيد: «باب فضل التوحيد وما يُكَفِّر من الذنوب»، و«باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب»[(٢)].

---

(١) حاشيته على كتاب التوحيد (ص٧).

(٢) انظر: الباب الثاني، والباب الثالث من أبواب كتاب التوحيد.

وهـذا من بَراعـة التصنيف؛ فإن الشـيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمـا بَيَّنَ حقيقـة التوحيد في فاتحة كتابه؛ ناسَـبَ أن يبين فضائل التوحيد؛ فإن النفوس تتشـوق لِنَيْلِ الفضائل وتحصيلها، وقد أحسـن علماؤنا رحمهـم الله تعالى في بيان فضائل التوحيد، وقد أخذ الشيخ العلامة المفسر عبد الرحمن ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من ذلك بحظ وافر؛ فإنه ذكر من فضائل التوحيد ما لو رَحَلَ طالب العلم إلى أقصى الأرض لتحصيل ذلك لم يكن كثيرا، ويكفينا قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليس شـيء من الأشـياء له من الآثار الحسنة والفضائل المتنوعة مثل التوحيد».(١)

ولشـدة عناية العلماء بهذا الباب، أحببت أن أكتب نُبْذَةً من فضائل التوحيد، «مُتَطَفِّلا عليهم، لَعَلِّي أن أُنظَم في سِلْكِهم، وأُدخَل في عِدادِهم، وأُحشَر في زمرتهم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشـهداء والصالحين وحسـن أولئك رفيقاً»(٢)

وأقول كما قال الحافظ العراقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واللهَ أرجـو في أُمـوري كُـلِّها مُعتَصِمًـا في صَعبِهـا وسَـهلِها(٣)

والحمد لله أولا وآخرا.

❋❋❋

(١) القول السديد (ص٥٦-٦٥).
(٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ١٢٢).
(٣) فتح المغيث للسخاوي (١/ ١).

الفضيلة الأولى

أن التوحيد تعظيمٌ لله جَلَّ وَعَلَا، كما أن ضِدَّه، وهو الشرك تَنَقُّصٌ لله جَلَّ وَعَلَا

وقد أشار إلى هذا المعنى الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسائل كتاب التوحيد.(١)

ومن دلائل هذه الفضيلة، قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الزمر: آية ٦٧].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما ذَكَر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنه يوم القيامة يفعل هذا، هذا قَدْرُ ما تحتمله العقول؛ وإلا فعظمة الله وجلاله أَجَلُّ من أن يُحيط بها عقل، فَمَن هذا بعضُ عظمته، كيف يُجعَلُ في رتبته مخلوق لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا؟! هذا هو أظلم الظلم، وأقبح الجهل، كما قال العبد الصالح لابنه ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾» اهـ(٢)

ومن دقيق فقه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ خَتمُهُ لكتاب التوحيد بـ«باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾».

---

(١) انظر: الباب الرابع، المسألتين الرابعة والخامسة.

(٢) مجموع مؤلفاته (٥/ ٣٤٦)، وانظر: فتح المجيد (١/ ١٧٣).

قال الشيخ عبد الله بن حُمَيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن دقيق فهم المصنف وذكائه أنه ختم كتابه بهذا الباب الدال على إثبات أسماء الله وصفاته، والدال على أن العبادة لا تصلح إلا لله، وأن من صرف شيئا من العبادة لغير الله ما قدر الله حق قدره، وأن من شَبَّهَ الله بخلقه، أو نفى عنه شيئا من الصفات ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾» اهـ.[1]

❊❊❊

(١) شرحه لكتاب التوحيد (ص٧٦٨).

الفضيلة الثانية
أنَّ العِلْمَ بالتوحيد أَشرَفُ العلوم

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أشرف العلوم على الإطلاق علم التوحيد» اهـ[١]

وقال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قول الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [سورة آل عمران: آية ١٨]: «وفي هذا دليلٌ على أن أشرف الأمور علمُ التوحيد؛ لأن الله شهد به لنفسه، وأشهد عليه خَواصَّ خلقه» اهـ.[٢]

فائدة:

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مسائل التوحيد ليست من المسائل التي هي من فَنِّ المطاوعة خاصة؛ بل البحث عنها، وتعلمها، فرضٌ لازم على العالم والجاهل، والمُحْرِمِ والمُحِل، والذكر والأنثى» اهـ.[٣]

وقال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [سورة محمد: آية ١٩]: «يجب على كل مسلم أن يعلم معنى (لا إله إلا الله)، ويعتقده بقلبه، ويقولها

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ٤).

(٢) تفسيره (٤/ ٢٠٣٧).

(٣) مجموع مؤلفاته (٦/ ١٨٩).

بلسانه، ويعمل بمقتضاها، وإلا فليس من أهلها ولو قالها في كل يوم ألف مرة، ومعناها: أن يشهد قائلها على نفسه قولا واعتقادا وعملا أنه لا يعبد إلا الله، ويتبرأ من عبادة غيره، ويحب في ذلك ويبغض فيه، ويوالي فيه ويعادي عليه، فمن فعل ذلك فهو من أهل (لا إله إلا الله)» اهـ.[١]

❊❊❊

(١) سبيل الرشاد في هدي خير العباد (٢/ ٢٩٦).

الفضيلة الثالثة

أنّ أعظمَ سورة في القرآن، والسورةَ التي تَعْدِلُ ثُلُثَه، وأعظمَ آية في القرآن، كُلُّها مَبنِيَّةٌ على التوحيد.

قال الشيخ عبد الرحمن المعَلِّمِي اليماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومما يبين عَظَمة شأنِ التوحيد، وشِدَّةَ خطر الشرك: أن أعظم سورة في القرآن، والسورة التي تعدل ثلثه، وإنما هي بضع عشرة كلمة، والسورة التي ورد أنها تعدل ربعه، وأعظم آية في القرآن = كلها مبنية على توحيد العبادة.

أما أعظم سورة في القرآن فأمُّ الكتاب، وأما السورة التي تعدل ثلث القرآن فـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [سورة الإخلاص: آية ١]، وأما السورة التي ورد فيها أنها تعدل ربع القرآن فـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [سورة الكافرون: آية ١]، وأما الآية فآية الكرسي» اهـ.[1]

قلت:

أجاد الشيخ وأفاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإنما اقتصر على ما ذَكَر من السُّوَر وآية الكرسي لما وَرَدَ فيها؛ وإلا فالقرآنُ كُلُّهُ في التوحيد.

وهذه نُقولٌ عن الأئمة الفُحُول:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدةٌ به داعيةٌ إليه؛ فإنَّ القرآن:

---

(١) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (١/ ٣٧-٥٥) وبسط القول في ذلك.

- إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ فهو التوحيد العلمي الخبري.
- وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخَلْعِ كل ما يُعْبَدُ من دونه؛ فهو التوحيد الإرادي الطلبي.
- وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره؛ فهي حقوق التوحيد ومكملاته.
- وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فَعَلَ بهم في الدنيا وما يُكرِمُهُم به في الآخرة؛ فهو جزاء توحيده.
- وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النَّكَال وما يَحِلُّ بهم في العُقبى من العذاب؛ فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم» اهـ.(١)

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقرآن من أوله إلى آخره يبين لكم كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله» اهـ.(٢)

وقال ابنه الشيخ عبد اللطيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اقرأ كتاب الله من أوله إلى آخره تجد بيان التوحيد والأمر به، وبيان الشرك والنهي عنه، مقررا في كل سورة، وفي كثير من سور القرآن يقرره في مواضع منها، يعلم ذلك من له بصيرة وتدبر» اهـ.(٣)

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤٥٠)، وانظر: الاقتضاء (٢/ ٢٢٨و٣٦٧) مهم، والتعليق على قرة عيون الموحدين (١/ ٣٩٠).

(٢) مجموع رسائله (ص٢٨٣).

(٣) عيون الرسائل وأجوبة المسائل (٢/ ٦٤٥).

الفضيلة الرابعة

أنَّ التوحيدَ سَبَبٌ لِصَلاحِ العالم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومَن تَدَبَّرَ أحوال العالَم وَجَدَ كُلَّ صلاحٍ في الأرض؛ فَسَبَبُهُ توحيد الله وعبادته، وطاعة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكُلَّ شر في العالم، وفتنة، وبلاء، وقَحْطٍ، وتسليط عدو، وغير ذلك؛ فسببه مخالفة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والدعوة إلى غير الله، ومن تدبر هذا حَقَّ التدبر؛ وجد هذا الأمرَ كذلك، في خاصةِ نفسه، وفي غيره، عموما وخصوصا، ولا حول ولا قوة إلا بالله» اهـ.(١)

وقال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «فلا اجتماع للقلوب، ولا صلاح للعالَم إلا بالتوحيد، كما قال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ٢١ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢﴾ [سورة الأنبياء: آية ٢١-٢٢]، ولذلك إذا خَلَت الأرض من التوحيد، قامت القيامة؛ كما روى مسلم عن النبي، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله» اهـ.(٢)

❋❋❋

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٥).

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص٤٦).

الفضيلة الخامسة
أنّ التوحيد أعظمُ مُكفِّراتِ الذُّنوب

ومن دلائل هذا المعنى:

قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ومن لَقِيَني بِقُرابِ الأرض خطيئةً، لا يُشرك بي شيئا، لَقِيتُهُ بمثلها مغفرة». رواه مسلم.

وقول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أُعطِي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثا: أُعطِيَ الصلواتِ الخمس، وأعطي خواتيم البقرة، وغُفِرَ لمن لم يشرك بالله من أمته شيئا المُقحِمات». رواه مسلم.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوحيد أعظم الأسباب التي تُستَجلبُ بها المغفرة، وعَدَمُهُ مانعٌ من المغفرة بالكلية» اهـ.(١)

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «من جاء مع التوحيد بِقُرابِ الأرض -وهو مِلؤُها أو ما يُقارِبُ مِلأَها -خطايا، لَقِيَه الله بقرابها مغفرة، لكن هذا مع مشيئة الله، فإن شاء غَفَرَ له، وإن شاء أَخَذَه بذنوبه، ثم كان عاقبته ألا يُخَلَّدَ في النار، بل يَخرُجُ منها، ثم يَدخُلُ الجنة، فإن كَمُلَ توحيد العبد وإخلاصُهُ لله تعالى فيه، أوجب ذلك مغفرة ما سَلَفَ من الذنوب كُلِّها، ومَنَعَهُ من دخول النار بالكلية، فإن هذا التوحيد هو الإكسيرُ الأعظم، فلو وُضِع منه ذَرَّةٌ على جبال الذنوب والخطايا لقلبها حسنات» اهـ.(٢)

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٤/ ١٣٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص٧٣٤).

وقال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوحيد هو أعظم الحسنات، وهو أعظم الواجبات، وهو أعظم الأعمال تكفيرا للذنوب، ليس هناك عملٌ أعظمَ من التوحيد في تكفير الذنوب، لأنه رأس الأعمال، وأساسها، وأهمها، وأوجبها، وكل الأعمال بعده لا تصح إلا بعد وجوده» اهـ.[١]

❊❊❊

(١) شرحه لكتاب التوحيد (ص٣١) ط المؤسسة.

الفضيلة السادسة

أن التوحيد هو السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة، ودفع عقوبتهما[١]

ومن دلائل هذا:

قول الله تعالى عن المشركين: ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الصافات: آية ٣٨-٤٠].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ الموحدين» اهـ[٢].

أي: فإن الله تعالى ينجيهم من العذاب الأليم.

ومن دلائل هذا أيضا:

قوله تعالى عن يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة يوسف: آية ٢٤].

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما أخلَصَ عمله لله، أخلصه الله، وخَلَّصَه من السوء والفحشاء» اهـ.[٣]

---

(١) القول السديد (ص٥٧).

(٢) تفسير البغوي (٣/ ٦٥٩).

(٣) تفسيره (٢/ ٨١٣)، ضمن فصل ذكره في الفوائد المستنبطة من سورة يوسف، وانظر: مجموع مؤلفاته (٣/ ٧١٨).

ومن دلائل هذا أيضا:

قولـه تعالى عـن يونـس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـْۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة الأنبياء: آية ٨٨].

قال الشـيخ ابن سـعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قولـه ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـْۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾: «هـذا وَعدٌ وبِشـارة لـكل مؤمن وقع في شـدة وغـم: أن الله تعالى سـينجيه منها، ويكشف عنه، ويخفف عنه لإيمانه، كما فعل بيونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ» اهـ.[1]

❊❊❊

(١) تفسيره (٣/ ١٠٨١).

الفضيلة السابعة

أن أسعد الناس بشفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة هم أهل التوحيد.[١]

روى البخاري أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل: من أسْعَدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: «أسعدُ الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله، خالصا من قلبه».

وفي صحيح مسلم: «لكل نبي دعوةٌ مستجابة، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نبي دعوته، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي، فهي نائلةٌ إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا».

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد، الذين جَرَّدُوا التوحيد وخَلَّصُوه من تعلقات الشرك وشوائبه، وهم الذين ارتضى سبحانه.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [سورة الأنبياء: آية ٢٨]، وقال: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [سورة طه: آية ١٠٩].

فأخبر أنه لا يَحصُلُ يومئذ شفاعةٌ تنفع؛ إلا بعد رضاه قولَ المشفوع له، وإذنَهُ للشافع.

---

(١) القول السديد (ص٥٨).

فأما المشـرك فإنه لا يرتضيه، ولا يرضى قوله، فلا يأذن للشـفعاء أن يشفعوا فيـه؛ فإنه سـبحانه عَلَّقَهـا بأمرين: رضاه عن المشـفوع له، وإذنه للشـافع، فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة» اهـ.[١]

❊❊❊

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٣٩٦)، وانظر: حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد (ص١٣٩).

الفضيلة الثامنة

أنَّ أهل التوحيد يَحصُلُ لهم الهدى الكامل والأمن التام في الدنيا والآخرة[١]

ومن شواهد هذا المعنى:

قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الأنعام: آية ٨٢].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، ولم يشركوا به شيئا: هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة» اهـ.[٢]

وفي البخاري عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ شَقَّ ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يَعِظُهُ ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾﴾ [سورة لقمان: آية ١٣]».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن سَلِمَ من أجناس الظلم الثلاثة -الشرك، وظلم العباد، وظلم العبد لنفسه-، كان له الأمن التام والاهتداء التام، ومن لم يَسْلَم من ظلمه لنفسه، كان له الأمن والاهتداء مطلقا؛ بمعنى: أنه لابد أن

---

(١) القول السديد (ص٥٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٩٤).

يَدْخُـلَ الجنة، ويحصل له من نقص الأمن والاهتداء بِحَسَـبِ ما نقص من إيمانه بظلمه لنفسه.

وليس مرادُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله «إنما هو الشرك» أنَّ من لم يشرك الشرك الأكبر يكون له الأمن التام والاهتداء التام؛ فإن أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبيـن أنَّ أهلَ الكبائر مُعَرَّضُونَ للخوف، لـم يحصل لهم الأمن التام ولا الاهتداء التـام، الـذي يكونون بـه مهتدين إلى الصراط المسـتقيم، صـراطِ الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشـهداء والصالحين من غير عذاب يحصل لهم، بـل معهـم أصل الاهتداء إلى هذا الصراط ، ومعهـم أصل نعمة الله عليهم، ولابد لهم من دخول الجنة.

وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنما هو الشرك»:

إن أراد بـه الشـرك الأكبر؛ فمقصوده: أنَّ من لم يكن مـن أهله، فهو آمن مما وُعِدَ به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة، وهو مهتد إلى ذلك.

وإن كان مراده جنسَ الشـرك: فيقال: ظلمُ العبدِ نفسَـه كبُخلِهِ -لِحُبِّ المال -ببعض الواجب، هو شركٌ أصغر، وحُبُّهُ ما يبغضه الله حتى يكون يقدم هواه على محبة الله شرك أصغر، ونحو ذلك.

فهذا قد فاته من الأمن والاهتداء بحسبه؛ ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب في هذا الظلم بهذا الاعتبار» اهـ.[١]

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٨١).

الفضيلة التاسعة

أن التوحيد هو الرابطة الحقيقية التي تجعل المسلمين كالجسد الواحد

ومن شواهد هذا المعنى:

قول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [سورة آل عمران: آية ١٠٣].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي صِرتُم بنعمة الإسلام إخوانا في الدين» اهـ.[١]

ومن شواهد هذا المعنى أيضا:

قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ المؤمنين في تَوادِّهِم وتراحُمِهِم وتعاطُفِهِم مَثَلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسَّهَرِ والحُمَّى». رواه مسلم.

قال الشيخ الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرابطة الحقيقية التي تَجمَعُ المتفرق وتُؤلِّفُ المختلف هي رابطة «لا إله إلا الله» ألا ترى أنَّ هذه الرابطة التي تجعل المجتمع الإسلامي كُلَّه كأنه جسد واحد، وتجعله كالبنيان يشد بعضه بعضا، عَطَفَت قلوبَ حملة العرش ومن حَولَهُ من الملائكة على بني آدم في الأرض مع ما بينهم من الاختلاف!

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٥١).

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ [سورة غافر: آية ٧] الآيات.

فقد أشار تعالى إلى أن الرابطة التي ربطت بين حملة العرش ومن حوله، وبين بني آدم في الأرض حتى دعوا لهم بهذا الدعاء الصالح العظيم؛ إنما هي الإيمان بالله جَلَّ وَعَلَا، وبالجملة؛ فلا خلاف بين المسلمين أن الرابطة التي تربط أفراد أهل الأرض بعضهم ببعض، وتربط أهل الأرض بأهل السماء هي رابطة «لا إله إلا الله» اهـ.[1]

❊❊❊

(١) أضواء البيان (٣/ ٥٣١) باختصار يسير.

الفضيلة العاشرة

وهي من أَجَلِّ فوائده: أنه يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة خردل، وأنه إذا كَمُل في القلب يمنع دخول النار بالكلية. (١)

ومن دلائل هذه الفضيلة:

قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث الشفاعة: «فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال لي: انطلق، فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خَرْدَلٍ من إيمان فأخرجه من النار». الحديث. متفق عليه.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث عتبان: «فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله» رواه الشيخان.

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «هذا من فضل التوحيد: إما أن يَسْلَمَ من النار نهائيا، وإما أن يسلم من الخلود فيها».

إلى أن قال: «أفلا يحق لِعِلْمٍ هذا فضله أن يُعتنى به، وأن يُدرَس، وتُعرَفَ تفاصيله، حتى يكون الإنسان من أهله، ويَحُوزَ على هذه الفضائل العظيمة، فالتوحيد جديرٌ بالعناية؛ لأنه هو الأصل، ولأنه هو أساسُ السلامة من عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى» اهـ. (٢)

---

(١) القول السديد (ص٥٧).

(٢) التعليق على قرة عيون الموحدين (١/ ١١٣).

الفضيلة الحادية عشرة

أن الله يدفع عن أهل التوحيد كيد الشياطين.

ومن شواهد هذا المعنى:

قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة النحل: آية ٩٨-١٠٠].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأخبر سبحانه أن المتوكلين على الله ليس للشيطان عليهم سلطان، وإنما سلطانه على المُتَوَلِّينَ له، وأصلُهُ المحبة والموافقة، كما أن العداوة أصلها البغض والمخالفة، فالمتولون له هم الذين يحبون ما يحبه الشيطان ويوافقه».

إلى أن قال: «وإنما يَعْرِضُ هذا كُلُّهُ لضعف ما في القلب من حب الله وإخلاص الدين له، عبادةً واستعانةً، فيكون فيه من الشرك ما يُسَلِّطُ الشيطان عليه».

إلى أن قال: «ولهذا لم يَخْلُص من الشيطان إلا المخلصون لله، كما قال تعالى: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الحجر: آية ٣٩-٤٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة الحجر: آية ٤٢]» اهـ. (١)

---

(١) جامع الرسائل (٢/ ٢٦٣ و٢٦٧ و٢٩١)، وانظر للفائدة: مجموع مؤلفات الإمام محمد بن عبدالوهاب (٥/ ٢٢٧)، ومجموع مؤلفات ابن سعدي (٣/ ٥٥).

وفي الصحيحين: أن «من قال: «لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» في يوم مائة مرة، كانت حِرزًا له من الشيطان حتى يُمسي».

وفي صحيح البخاري: «إذا أَوَيتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي حتى تختم الآية؛ فإنك لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يَقرَبَنَّكَ شيطانٌ حتى تُصبحِ».

وذلك والله تعالى أعلم لما اشتملت عليه من براهين التوحيد.[١]

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومع هذا؛ فقد جَرَّبَ المُجَرِّبون الذين لا يُحصَونَ كثرة أنَّ لها -لآية الكرسي- من التأثير في دفع الشياطين، وإبطال أحوالهم ما لا ينضبط من كثرته وقوته» اهـ.[٢]

❊❊❊

(١) انظر للفائدة: جامع المسائل لابن تيمية، المجموعة الأولى (ص٩٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ٥٥).

الفضيلة الثانية عشرة

وهي من فضائله التي لا يَلحَقُهُ فيها شيء: أن التوحيد إذا كَمُل في قلب الموحد؛ فإنه لا يَعدِلُه شيء في الميزان.[١]

ومن دلائل ذلك:

حديث صاحب البطاقة، وفيه: «أنه يُصاحُ برجل من هذه الأمة على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فَيُنشَرُ له -من سيئاته- تسعةٌ وتسعون سِجِلاًّ، كل سجل مثلُ مَدِّ البصر، فَيَهابُ الرجل، فيقال له: هل لك من حسنة؟ فيقول: لا. فيقال له: لا ظلم عليك، إن لك عندنا حسنة، فتخرج بطاقة مكتوب فيها «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله»، فيقول: يا رب! وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فيقال له: إنك لا تُظلَم. فتوضع السجلات في كِفَّة، والبطاقة في كفة، فَتَطيشُ السجلات، وتَثْقُلُ البطاقة». رواه الإمام أحمد وغيره، وهو حديث صحيح.[٢]

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «وهذا الحديث -حديث البطاقة- وغيره من الأحاديث التي تدل على أن لا إله إلا الله يَدْخُلُ بها صاحبها الجنة وينجو من النار مقيدةٌ بالأحاديث الأخرى التي تدل على وجوب العمل، أما من يقولها ولا يعمل بمقتضاها؛ فإنها لا تنفعه، لكنَّ هذا الرجل قالها عن يقين

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٢/ ٣٧٥)، والقول السديد (ص٦١).

(٢) وانظر: مجموع رسائل ابن رجب (٢/ ٣٥٠).

وإخـلاص ومات على ذلـك، أي: مات موحدا تائبا إلـى الله عَزَّوَجَلَّ، فمحا الله بها جميع ذنوبه».

إلى أن قال: «فحديث البطاقة هذا فيه بيان فضل التوحيد إذا سَلِمَ صاحبه من الشرك، وأن الله عَزَّوَجَلَّ يغفر له ذنوبه ولو كانت كثيرة» اهـ.[١]

❊❊❊

(١) التعليق على قرة عيون الموحدين (١/ ١٩٦-١٩٨).

الفضيلة الثالثة عشرة

أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها، وفي كمالها، وفي ترتيب الثواب عليها على التوحيد.[١]

فلا يقبل العمل إلا بالتوحيد، ولا يكمل إلا بالتوحيد، ولا يثاب عليه إلا بالتوحيد.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[سورة آل عمران: آية ٨٥].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأصل الإسلام: هو التوحيد، ونفي الشرك في العبادة، وهو دعوة جميع المرسلين، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة فيما أمرهم به على ألسن رسله، كما قال تعالى عن أول رسول أرسله: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾﴾[سورة نوح: آية ٣]» اهـ.[٢]

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾[سورة التوبة: آية ١٧].

---

(١) القول السديد (ص٥٨).

(٢) فتح المجيد (١/ ٢٠٢).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نفى تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عمارة المساجد عن المشركين بقوله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ الآية؛ إذ لا تنفعهم عمارتها مع الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٢٣]» اهـ.(١)

وقال تعالى في حق المنافقين: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [سورة التوبة: آية ٥٤].

وفي الحديث القدسي: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عَمِلَ عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشِرْكَه». رواه مسلم.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكل عبادة لا تنبني على التوحيد؛ فهي باطلة» اهـ.(٢)

❊❊❊

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٨٥٢).

(٢) القول المفيد (١/ ٤٩)، وانظر للفائدة: مجموع مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوعاب (١/ ١٦٥).

الفضيلة الرابعة عشرة

أن أفضل ما قاله النبيون الكلمة الدالة على التوحيد، وهي «لا إله إلا الله».

قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير». رواه الترمذي.

وهذه الكلمة لها «فضائل عظيمة لا يمكن استقصاؤها». قاله الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.(١)

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفضائل هذه الكلمة، وحقائقها، وموقعها من الدين: فوق ما يصفه الواصفون، ويعرفه العارفون» اهـ.(٢)

وقد أفرد العلامة يوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ «فضائل لا إله إلا الله» في مصنف، ذكر فيه مائتي فضيلة لهذه الكلمة الطيبة.(٣)

فائدة:

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما كان بالناس؛ بل بالعالَم كُلِّهِ من الضرورة إلى لا إله إلا الله ما لا نهاية في الضرورة فوقه؛ كانت أكثر الأذكار وجودا، وأيسرها حصولا، وأعظمها معنى» اهـ.(٤)

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٢/ ٣٧٢-٣٨٥) وبسط القول في ذكر فضائلها.

(٢) مجموع الفتاوى (٢/ ٢٥٦).

(٣) انظر: منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد (١/ ١٨٨).

(٤) تيسير العزيز الحميد (١/ ٢٠٣).

الفضيلة الخامسة عشرة

أن التوحيد سببٌ للعلو والشَّرَف، كما أن ضده وهو الشرك سبب للذل والسُّقوط.

قال الله تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٖ ٣١﴾ [سورة الحج: آية ٣١].

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «فدلت الآية على أن التوحيد علو وارتفاع، وأن الشرك هبوط وسُفُول وسقوط» اهـ.(١)

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن لا تخوفه هذه الآية وتزجره عن الشرك في العبادة إذا تدبرها فلا حيلة فيه» اهـ.(٢)

وقد أجاد الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان معناها، فقال: «بَيَّنَ تعالى في هذه الآية الكريمة: أن من أشرك بالله غيره، أي: ومات ولم يتب من ذلك؛ فقد وقع في هلاك لا خلاص معه بوجه، ولا نجاة معه بحال؛ لأنه شبهه بالذي خرَّ: أي سقط من السماء إلى الأرض، فتمزقت أوصاله، وصارت الطير تتخطفها، وتهوي بها الريح فتلقيها في مكان سحيق: أي محل بعيد لشدة هبوبها بأوصاله المتمزقة، ومن كانت هذه صفته؛ فإنه لا يرجى له خلاص، ولا يُطمَع له في نجاة، فهو هالك لا محالة» اهـ.(٣)

---

(١) المجموع المفيد في تفسير كلمة التوحيد (ص٣٤).

(٢) قرة عيون الموحدين (ص١٥٦).

(٣) أضواء البيان (٥/ ٧٥٢).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو أيضا معلوم بالاعتبار والاستقراء، ما عَلَّقَ العبد رجاءه وتوكله بغير الله إلا خاب من تلك الجهة، ولا استنصر بغير الله إلا خُذِل، وقد قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة مريم: آية ٨١-٨٢]» اهـ. (١)

❊❊❊

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٢٩).

الفضيلة السادسة عشرة

أن الله تعالى تكفل لأهل التوحيد بالفتح والنصر في الدنيا.[١]

قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾ [سورة غافر: آية ٥١].

وهذا مثال من الواقع:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما تكلم عن قتال أهل الشام للتتار: «جعلنا نأمر الناس بإخلاص الدين لله عَزَّوَجَلَّ، والاستغاثة به، وأنهم لا يستغيثون إلا إياه، لا يستغيثون بملك مُقرَّب، ولا نبي مُرسَل، كما قال تعالى يوم بدر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال: آية ٩]».

إلى أن قال: «فلما أصلح الناس أمورهم، وصدقوا في الاستغاثة بربهم، نصرهم على عدوهم نصرا عزيزا، لم يتقدم نظيره، ولم تهزم التتار مثل هذه الهزيمة قبل ذلك أصلا لِما صَحَّ من تحقيق توحيده وطاعة رسوله ما لم يكن قبل ذلك؛ فإن الله ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد» اهـ.[٢]

---

(١) القول السديد (ص٦٣).

(٢) الرد على البكري (ص٤١٣ و٤١٤).

وقال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كُلُّ داعٍ إلى توحيد الله، واتباع سنة رسوله الكريم، مخلص في دعوته، يرى العجب العجاب من نصر الله، وإبطال كيد المشركين له، هذا في الدنيا، فكيف بالآخرة؟!» اهـ.[1]

❊❊❊

(١) سبيل الرشاد في هدي خير العباد (١/ ٥٩٣).

الفضيلة السابعة عشرة

أن التوحيد يُحَرِّر العبد من رِقِّ المخلوقين، والتعلق بهم، وخوفهم، ورجائهم، والعمل لأجلهم.[١]

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «فعبادة الله جَلَّ وَعَلَا هي الحرية الصحيحة، ليست الحرية أن الإنسان يشرك، ويكفر، ويعتقد ما شاء، كما يقولون: الناس أحرار في اعتقادهم!! لا؛ بل الناس خلقوا لعبادة الله، وعبادة الله ليست من باب الذل والمهانة؛ وإنما هي من الإكرام، ومن الرفعة، وهذا شرف للعبد، والله جَلَّ وَعَلَا أكرم نبيه بالعبودية له، فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [سورة الإسراء: آية ١]، فعبودية الله شرف، أما عبودية غيره؛ فهي ذل ومهانة» اهـ.[٢]

وقال حفظه الله: «لأن الشرك رِقٌّ للشيطان بَدَل الرِّق للرحمن، ورحم الله الإمام ابن القيم حيث يقول:

هربوا من الرِّق الذي خلقوا له ... فبُلُوا بِرِقِّ النفسِ والشيطانِ

يعني: هم أرقاء لله، عبيد لله، لكن لما أشركوا به صاروا عبيدا للشيطان، وعبيدا للنفس والهوى، فالإنسان خلق لعبادة الله، فإذا تركها صار عبدا للشيطان، فهو عبدٌ ولا بُدَّ» اهـ.[٣]

---

(١) القول السديد (ص٦٠).

(٢) إعانة المستفيد (ص١٥٣) وانظر: التعليق على قرة عيون الموحدين (١/ ٤٤٢).

(٣) إعانة المستفيد (ص١٥٣).

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والعبودية لله عَزَّوَجَلَّ، لا شك أنها تمام الحرية، وكل من كان لله أعبد؛ فهو أشد تحررا ممن كان على العكس» اهـ.(١)

وقد أرشد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا إلى تحقيق هذا المعنى، فقال له: «إذا سألت فاسأل الله» الحديث. رواه الترمذي.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم أن سؤال الله عَزَّوَجَلَّ دون خلقه هو المتعين؛ لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل، والمسكنة، والحاجة، والافتقار، ولا يصلح الذل والافتقار إلا لله وحده؛ لأنه حقيقة العبادة، وكان الإمام أحمد يدعو، ويقول: «اللهم كما صُنتَ وجهي عن السجود لغيرك، فَصُنْهُ عن المسألة لغيرك» اهـ.(٢)

❊❊❊

(١) تفسير سورة ص (ص١٩٨).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص٣٦١).

مسك الختام

وَصِيَّتان من وصايا علماء التوحيد

الأولى: وصية الحافظ ابن رجب:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إخواني! اجتهدوا اليوم في تحقيق التوحيد؛ فإنه لا يوصل إلى الله سواه، واحرصوا على القيام بحقوقه؛ فإنه لا يُنجِي من عذاب الله إلا إياه» اهـ.(١)

والثانية وصية الشيخ عبد الرحمن بن حسن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أوصيكم بتدبر أنوار الكتاب، التي هي أظهر من الشمس في نحر الظهيرة ليس دونها قَتَرٌ ولا سحاب، لا سيما دلائل التوحيد، والتفكر في مدلولاته ولوازمه وملزوماته ومُكَمِّلاتِه ومقتضياته، ثم التفطن فيما يُناقِضُه وينافيه من نواقضه ومبطلاته، فالخطر به شديد، ولا يسلم منه إلا من وُفِّقَ للصبر والتأييد والفعل الحميد، والقول السديد، وخالطَ قلبه آيات الوعيد، وعَرَفَ الله بأسمائه وصفاته التي تجلو الريب والشك عن كل قلب مُريد، واعتصم بالله من كل شيطان مَريد».

إلى أن قال: «فالله الله في التحفظ على القلب بكثرة الاستغفار من الذنوب، جعلنا الله وإياكم ممن نجا من ظلمة الجهالة، وأخلص لله أقواله وأعماله» اهـ.(٢)

---

(١) مجموع رسائله (٢/ ٣٨٤).

(٢) مجموع رسائله (ص٢٧٠).

«فنسأل الله الثبات على دينه، وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يجعلنا من أوليائه وحزبه الذين ينصرونه، ويذبون عن دينه وكتابه، وينفون عنه تحريف المبطلين، وتأويل الجاهلين، وزيغ الزائغين، إنه ولي ذلك، وهو على كل شيء قدير، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا»[١]

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

❊❊❊

(١) فتح الوهاب في رد شبه المرتاب (ص٢٨).

المراجع

* الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، صالح الفوزان، ط ١٤٢٤.
* أضواء البيان، الشنقيطي، ط دار عالم الفوائد.
* إعانة المستفيد، صالح الفوزان، ط الرسالة العالمية.
* إعلام الموقعين، ابن القيم، ط دار الجيل.
* إغاثة اللهفان، ابن القيم، ط دار عالم الفوائد.
* اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، ط دار اشبيليا.
* التعليق على قرة العيون، صالح الفوزان، ط التراث الذهبي.
* تفسير البغوي، ط دار طيبة.
* تفسير سورة ص، ابن عثيمين، ط دار الثريا.
* تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ط دار طيبة.
* تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبد الله، ط دار الصميعي.
* تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي، ط دار ابن الجوزي.
* الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ط الأوقاف القطرية.
* جامع الرسائل، ابن تيمية، ط دار العطاء.

* جامع العلوم والحكم، ابن رجب، ط دار ابن الجوزي.
* حاشية كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن قاسم، ط١٤٣٢
* الرد على البكري، ابن تيمية، ط مكتبة دار المنهاج.
* رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله، المعلمي، ط دار عالم الفوائد.
* سبيل الرشاد في هدي خير العباد، تقي الدين الهلالي، ط الدار الأثرية.
* شرح سماحة الشيخ ابن باز لكتاب التوحيد، ط المؤسسة
* شرح كتاب التوحيد، عبد الله بن حميد، ط دار ابن الجوزي.
* شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ط مؤسسة الرسالة.
* عيون الرسائل والأجوبة على المسائل، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، ط مكتبة الرشد.
* فتح المجيد، عبد الرحمن بن حسن، ط دار عالم الفوائد.
* فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، السخاوي، ط مكتبة دار المنهاج.
* فتح الوهاب في دفع شبه المرتاب، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، ط مؤسسة بينونة.
* قرة عيون الموحدين، عبد الرحمن بن حسن، ط دار التوحيد.
* القول السديد، ابن سعدي، ط دار القبس.

* القول المفيد، ابن عثيمين، ط دار ابن الجوزي.
* مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ط العبيكان.
* المجموع المفيد في تفسير كلمة التوحيد، ط دار الميراث النبوي.
* مجموع رسائل ابن رجب، ط مكتبة أولاد الشيخ.
* مجموع رسائل الشيخ عبد الرحمن بن حسن، ط دار الهداية.
* مجموع مؤلفات ابن سعدي، ط دار الميمان.
* مجموع مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب، ط جامعة الإمام.
* مدارج السالكين، ابن القيم، ط دار الكتاب العربي.
* منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد، حمد العثمان، ط دار الفرقان.

***